(٧)

عيد

بين الغيب والشهادة

عود بجديد وبعث بوليد

حديث العيد

١ شوال ١٣٨١ هـ - ٧ مارس ١٩٦٢ م

إلى الله حيثما كنا نعود، وأمانة الحياة كيفما كنا إليه نعيد، به لبسنا ثوب الحياة وظهرنا بالثوب الجديد، مستغفرين من سيئات أنفسنا، ومن غفلة إدراكنا، ومن قصور وسائلنا، لاجئين إليه أن يجدد في حقه قلوبنا على دوام، وأن يغير في قيامه أحوالنا إلى سلام، وأن يلبس قلوبنا الجديد من ذواتنا جديدا بعد جديد وقد غيرنا ما في أنفسنا مستغفرين من القيام العنيد، ورجعنا إليه معنا أوابين، وعلى روح الحياة فينا حريصين، نطمع في الثوب الجديد بعد الجديد، نطمع فيمن يبدئ ويعيد، نطمع فيمن هو كل يوم في شأن فمريد أن يجعل منا له شأنا في لباس سعيد.

إن الحياة وقد كشفها وعرفها رسول الله لنا على هذه الأرض له مسجدا وطهورا، مسجدا هو فيه قبلته لعوالمها، حيا في قبره من قلوب أهلها فيه تتجدد نفوسا مطمئنة يوم إليه عبد الله تعود، تدخله بثوب وليد في مهد سعيد سائلة الله مزيدا مما عرفت وتحقيقا لما قدرت. تدخله وهي أرواح بمعنى الإنسان، أقباسا من النور من الروح العظيم لروح الحياة اللانهائي، طامعة في مرتقى جديد من معنى الرجل الرشيد، كل فيها ميسر لما خلق له، الأعمال في هذه الدار، وفي هذا المسجد بالنيات لا يشق الله على أهلها، ولا يكلف في هذه الدار وفي كل دار نفسا إلا وسعها، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت. أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

هذه الدار كل من فيها بدء جديد، وكل من فيها حق وليد. إنها ساعة حياة. إنها موقوت الحياة في أحسن تقويم. خلق أهلها وصورهم فأحسن صورهم، وبشرهم وصدق وعده لهم، ما صدقوه عبادا

له، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده. وسيعطيه حتى يرضى وهو لا يرضى وأحد من أمته ما زال في الشعور بقهر نفسه وضيقه ونار حقده.

جاءنا عبد الله ورسوله بالعبودية لربه ربا لنا، وعبدا له بيننا جعل الله فيه لنا قدوة وأسوة، ما أعطيه مما نعرف فلمن تابعه على قدر ما عرف، ومن أحبه ولم يعرف شرف بما به شرف، ومن تابعه صار في الطريق المستقيم معه، ومن تخلف عن ركبه سقط في الهاوية، في هاوية نفسه، في هاوية أنانيته وحسه، وقد غفل عن شرارة النار من النار المقدسة في قلبه فأحرقته. خاصم جذوة الحياة مشعلة في مصباحها من صدره ففارقته، خاصم معية الله في نفسه فتجاهلته، خاصم روح الله في معناه حيا من الحي القيوم فأغفلته، وقد خاب من حمل ظلما. خاب من دساها.

لقد جاءنا عبد الله ورسوله بالأقوم من المعرفة، والذلول من المطية، والمستقيم من الطريق، والقريب من المنال، والمشرق من النور، يشتعل بين جوانحنا في مصباحه بنا من حرارة الشوق لمعانينا فينا من الله ما تشوقنا. علمنا وحدانيته يوم ندرك وحدانيتنا به. علمنا وصلته يوم يتصل بعضنا بالبعض فيه، متناجين باسمه.. ذاكرين لفضله.. قائمين بقيومه.. داخلين في حصن وحدانيته بلا إله إلا الله.. متواضعين لحقائقنا معنا رسلا من أنفسنا، لا لغيرنا نسجد إن لهم سجدنا، ولا لغيرنا نستقبل إن لهم في قبلتنا استقبلنا بإدراك الله الأكبر لنا، في إدراكنا لنا ذكرا له، ووجوها منه، ونورا من نور السموات والأرض به. بعضنا لبعض وجوه لله ودعاة به.

هذا ديننا، وهذا توحيدنا، ما رجعنا إلى أنفسنا فينا من الله، وعدنا إلى ضمائرنا حية به، ففي عودتنا لضمائرنا عيدنا وعودنا، وفي عودتنا إلى حقائقنا فينا عيدنا، وعودنا لنا في أحسن تقويم.

نحتفل بالعيد بلباس الثوب الجديد والطعام المزيد، لا بأس.. فليكن.. وليكن ذلك منسكا. إن الثوب الجديد يستر مادتنا من أجسادنا، ويقتضينا أن نتذكر، وأن نتفكر في القلب المحتجب ولباسه المتجدد. فهل كسبنا بالعيد معنى للمعنى القائم بنا بالثوب الجديد؟ هل استيقظ الضمير الحي السعيد بالعهد الجديد؟ هل صحا العقل الدراك من نومه المديد؟ هل نمت النفس المتزكية الراضية في حالها السعيد؟ إننا في حاجة دائما إلى جديد، مع أنفاسنا، مع أيامنا، مع لياليا، مع كل أوقاتنا.

إذا تجددنا في مظاهرنا مما نملك، فلنسأل الله أن نتجدد في جواهرنا من داخلنا، وبما يحيط بنا منا مما يملك ولا نملك. فلنسأله الجديد في أنفسنا ما تجددت الأيام لنا، وهو الذي ما زال يخلقنا بكريم يديه خلقا من بعد خلق على ما سبق أن فعل، ونحن في رحمته في ظهور الآباء وبطون الأمهات، ونطمع أن يحملنا برحمته إلى ساحة رسول رحمته وعالم رحمته ما آمناه فينا ومعنا، وما آمنانا نبعث به بين جوانحنا،

وما آمناه حوض ماء الحياة لنا، وما آمناه وجه الله فينا، وما آمناه وجه الله لنا، وما آمناه يقوم في الساجدين منا ما سجدنا لله، ويقوم في القائمين منا ما قمنا بالله.

هو قديم قديمنا، وهو جديد جديدنا، وهو قائم حياتنا وقيوم الحياة علينا باسم الله الرحمن الرحيم. عرفناه يوم عرفناه، وذكرناه يوم ذكرناه، وشهدناه يوم شهدناه، وآمناه يوم آمناه، وحيينا به يوم أحييناه فينا.

رسول الله.. عبد الله.. نور الله.. روح الله.. ذات قدس الله للأقدس في الله.. الحق من الله.. سيف الله.. ماء الحياة.. سفين النجاة.. نور السموات والأرض.. قبضة من نور الله.. هل عرفناه؟ هل وصلناه؟ هل صليناه؟ هل سكنتنا منه الصلاة؟ هل طلبنا منه أن يجعل من صلاته سكنا لنا؟ هل توسلنا به إلى ربه ربا لنا؟ هل تعارفنا إلى روحه روحا لنا؟ هل تابعناه إماما لنا؟ هل قرأناه كتاب حياتنا؟ هل حملناه كتاب نجاتنا وقرآن آياتنا، وحروف ذواتنا، وكلمات تجمعاتنا، وسور نهضاتنا؟ هل عرفناه في أحسن تقويم؟ هل عرفناه يد الله الحاملة المقلة لنا الآخذة بنواصينا من أسفل سافلين؟ هل اعتقدناه يد الله لنا مظلة رحمة من رب العالمين؟ هل آمناه حتى أننا به نأمن مكر أنفسنا من الله؟ هل أحببناه حتى أفاض أو يفيض علينا من حب الله، فأحببنا الله، وعرفنا مذاق هواه؟ هل ذقنا الهوى لله؟ هل ذكرناه؟ هل قدرناه؟ هل عرفنا الرغبة والرهبة فيه له معنا؟ هل عرفنا الشوق إليه به فينا له يجمعنا؟ هل اطمأنت لنفوسنا السكينة؟ هل اتسع فيه رجاؤنا؟ هل قام بأناه إناؤنا؟ ما خلقنا إلا لنفسه، وما هيأ لنا السبيل إلا لنعبِّد أنفسنا لوجهه.. من هو الذي هو من ورائنا محيط، وعلينا قائم، وأقرب إلينا من حبل الوريد، ومعنا أينما كنا أو نكون؟ هل وحدناه؟ هل قمناه؟ هل سعدناه؟ هل آمناه؟ هل عرفناه؟ هل رشدناه؟

إننا بألفاظ نلوك اسم الله ونذكر الإيمان به، وبألفاظ نلوك اسم رسوله ونتخيل المتابعة له ونحن أبعد ما نكون عن الإيمان، وأبعد ما نكون عن المتابعة. فإلى متى تمر علينا الأعياد ولضمائرنا لا نعود؟ إلى متى تقطعنا الأيام ولا نقطعها لنكون فوق الأزمان على ما أرادنا الرحمن لنفسه؟

في مثل هذا الوقت من كل عام نمسك عن الطعام ثم نعود إلى الطعام في أوقات من اليوم لعدة أيام، ولا ندري لماذا أمسكنا عن الطعام، ولماذا لعدة أيام، ولماذا في هذا الوقت من العام، ولماذا نحتفل بالعودة إلى الطعام، ولا نحتفل بمقدم الصيام.

إن الصيام ركن من أركان الإسلام، ومنسك من مناسكه، جعل لله وهو يجزي به. وائتمن عليه العبد فهو أمين نفسه فيه أمام ربه. تستقيم النية لله في أدائه، ما رغبه الصائم بقصد مرضاته. وهو منسك

إشاري في مظاهره من الأداء، والوقت، ودورته في الزمان بفصوله، ونسبة وقته إلى العام في دورته بأبعاضه من الشهور. ولكلٍ معانيه عن أطوار الأنانية وأحوالها وعوالمها...

فوقته شهر من اثني عشر إشارة لفجر لليالي عشر لشمس الحياة الجامع، وسراجها بجذوة الحياة المشرقة. وهو شهر الأمة لشهرين لله ورسوله باسم الأشهر الحرم في ثالوث وحدتها لتواجدات الإنسان في بيت قبلته بأهله من أهل السكينة، يصلون على الناس ويصلى الناس عليهم لذكر الحق من الله في معاني رب الناس من أنفسهم.

يمسكون عن الطعام في نهارهم ويباح لهم في ليلهم إشارة إلى أن المادة ليست من طعام الإنسان في حقيقته، ولكنها من طعام جلبابه من الظلام، وأن النور هو طعامه الأصيل يستغني به عن مادة الظلام لقيام أوده، وأن طعامه من النور منه يتكون جلباب تواجده العلوي، وأنه إذ يطعم في ظلام ليله من بدء تخلي سراج النور عنه حتى مطلع الفجر به، فهو إنما يضع الأمور في نصابها، ويلبس لكل حال لباسها، وأنه كائن إنساني كامل لا ينقطع عن التواجد في عالم النور، ولا عن التواجد في عالم الظلام. فهو دائم التخلق.. دائم التحقق. لا يتوقف جديده من الخلق ولا يتوقف جديده من الحق.

إذا بدأت فترة الصيام برمضان غاب الإنسان بها عن عالمها الأرضي، وبدأ له عيد بعود إلى عالمه العلوي حيث يحتفل بعودته إليه، فلا عيد في الأرض التي فارق. فإذا انتهت الفترة، وأفطر لرؤية مولد هلاله عليها بما كسب من علوي عالمه، وعاد ليجدد نفسه حتى يُعرف في سفليه بما قام في علويه، احتفل بهذه العودة حيث عاد في جديد من خلقه جديدا على عالمه الأرضي الذي له به أحباب وأهل مسرة أن عيد إليهم. إن الإنسان في حياته الروحية يفقد الأنانية إلى روح الحياة، وهو في فنائه لا يشعر إلا بالفناء ورفع عبء المسئولية عنه، ولا يشعر بما كان يستمتع به في أنانيته المقيدة المنعزلة عن كليات الوجود من الصلة والتواصل، والحب والتواد، والتعالي والتواضع، وهو بالفناء في صفات من فنى فيه الغني عن العالمين من لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية. إن ملائكته وهم القائمون في حضرة قيامه حنوا في أنفسهم لما رأوا في الإنسان من حركة وأدركوا له من متعة في خلافته عن المخلف، واحتجابه عن ظاهر حضرته إلى باطن ملكوته فيه. إن الربوبية لا تعرف المتعة بالعباد أو بالوجود، ولكنها تعرف العبء والمسئولية والعمل وليس لها من نفسها فيها متعة. فالمتعة لأطفال الإنسانية.

إنَّا بين حياتين، حياة نتشبه فيها بالملائكة لأيام، وحياة نتشبه فيها بالبشرية أو بالآدمية أو بالإنسانية لأعوام. نحن ما بين ظاهر الحياة وباطن الحياة، بين العبودية والربوبية، بين التوكل والمسئولية. نحن بين شقي الحياة لما كنا فيه فنعود من إحداهما إلى الأخرى، وكلما عدنا للحياة التي كنا فيها، ففي عودتنا عيد. إن عودتنا إلى هذه الحياة الأرضية من قديمنا بالحياة الروحية بمولدنا عيد. وإن غبنا عن

هذه الحياة الأرضية إلى مولدنا في الحياة الروحية ففي مولدنا بها عيد، نحتفل به حيث نكون من عوالمها، فنحن في مولد دائم في ثوب جديد قائم في معية من يبدأ ويعيد، ومن هو في كل يوم في شأن جديد، فنحن فيه هذا الشأن يوم يعيدنا إلى هذه الأرض نواصل العمل، أو يعيد الحياة بالروح لتستيقظ منا الضمائر، وتتنقى منا السرائر، وتصفو منا النفوس والخواطر. فيوم يعيدنا إلى حياة الروح نحاسب أنفسنا، وننظر جزاءنا بما عملنا، ونحصي ما كسبنا وما فاتنا نخسرنا، في ثوب جديد من خلق بين شقي وسعيد في عالم بالحياة مديد. فإذا ما ترددنا بين السموات والأرض وعدنا إلى الأرض بجديد لقديم، أو إلى قديم بجديد وعلمنا ذلك، فكان في هذا العلم لنا أمر جديد في قيام جديد ومعنى جديد، كان لنا به في متواصل الحياة عود وعيد، نشهده في عوالمنا حيث نعود، وإن كنا لا نشارك فيما يكون في عالمنا حيث ننزح. إنه الفراق يشقاه من يشقاه ولكنا نسعده حيث نحل. إنه اللقاء نهناه.

وهذا بعينه ما يكون من أمركم كلما تغير فيكم وصف لكم من مرذول تمقتونه، فقد مات المرذول إلى ممدوح تطلبونه، فقد بعث الممدوح، فهذا ثوب جديد، وهذا عود حميد، وهو لكم عيد.

ليس العيد يوما من زمان ولا جلبابا من صوف أو قطن أو كتان، ولا مائدة من طعام محل الاستحسان، ولكن العيد أن تحقق لنفسك خطوة إلى أحسن تقويم متخلقا بأخلاق الله مما كنت تفتقد، متخليا عن أخلاق النفس مما كان وزرا عليك يثقل. عد إلى لطيف الله بك، فما عدت إلى الله معك يتخللك ويسمعك فأنت في عود وفي عيد. ولا تغفل عن الله روح الحياة، فما غفلت عن روح الحياة فقد باعدت بينك وبين العود إليه لمعناك، وفقدت مسرة العيد والعود لمولاك، وحرمت أن يلبس عليك ما تلبس من جديد.

نسأل الله أن يجعل من هذا العيد عودا لنا إلى كل حميد، إلى كل خير بعث محمود، لا ينقطع له جديد ولا مزيد.

اللهم إنا رجعنا إليك فاقبل رجعتنا، وأعدنا إلى أحضان قربك عيدا لنا، وأعدنا إلى أحضان رحمتك رحمة بنا، وأعدنا بجاه رسولك إلى أحضان عزك، وإلى ساحة عبادك، وإلى كتاب رشادك، وإلى معاني الحق فينا، ومعاني الحق لنا، ومعاني الحق بنا، بعثا وعودا لنا. اللهم أعلِ كلمة الحق والدين. اللهم قوم فيك سبيلنا. اللهم جدد فيك أمورنا إلى خير أمر ترتضيه لنا وترتضيه منا. اللهم خذ بنواصينا إلى الخير. اللهم اكشف حجاب الغفلة عنا، وألف اللهم بين قلوبنا، وزكي نفوسنا، ووحد جمعنا، وأنر عقولنا، ووجه طريقنا، اللهم أعلِ كلمة الحق فينا، وأعلِ كلمة الحق علينا، وأعلِ كلمة الحق بنا جندا لك، وجندا لرسولك. اللهم ابعثه فينا على ما وعدت، وعلى ما أكرمت، وعلى ما علّمت، وعلى ما

شرفت. اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا. اللهم قوم طريقنا حكاما ومحكومين، أئمة ومأمومين، مجاهدين ومتابعين، واجعل خير أيامنا يوم لقائك يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

(إننا نشن الحرب على تلك القوى التي تقف بين الروح العظيم وأطفاله، أينما يكونون ومن يكونون. ونحن لا نستكين لأحد إزاء تصميمنا على الإسراع بقدر الإمكان في تقدم مملكة السماء في الأرض. لقد واجهنا معارضة من الكذب والنميمة، من العداء والاضطهاد. وإنما تمكنت قوة الروح من الظهور لأن قلوبا شجاعة ونفوسا موقنة قد وقفت مع الحق. واليوم ها هي جنود كثيرة تقف على مخافر العالم الجديد. إني أدعوكم لتكونوا جد مستبشرين. لا تجعلوا قلوبكم تنوء بما فيها. انظروا خلف كل الحوادث المتغيرة إلى انتشار خطط الروح العظيم. واعلموا أنكم تساعدون على بناء العالم الجديد لأن الحق يسير إلى الأمام في كل لحظة.

أخبروا الناس ألا يهنوا أو يحزنوا لأنهم قد بدأوا يحصدون محصول أعمال أبطال الماضي، وأنهم يمهدون الطريق لحرية أكبر، واستقلال أعظم لأطفال الغد).

عن السيد الروح المرشد (برش)